

## من أوروبا إلى أوروبا ، عبر أفريقيا مصر قاعدة ترانزيت ، لعودة أسرى الحرب السوفيت السابقين إلى الوطن (١٩٤٤-١٩٤٥)

لم تترك الحرب العالمية الثانية أفريقيا في حالها . ففي الفترة من ١٣ سبتمبر عام ١٩٤٠ حتى ١٣ مايو ١٩٤٣ ، قامت قوات الحلفاء بعمليات عسكرية في شمال القارة ضد القوات الفاشية (دول المحور) . وبعد أن دحرت أمريكا وانجلترا قوات العدو ، قامت باستخدام أفريقيا بعد ذلك كقاعدة انطلاق لفتح جبهة ثانية في جنوب أوروبا . فقد استولت قوات الحلفاء على جزيرة صقلية الإيطالية في الفترة من يونيو إلى أغسطس ١٩٤٣ ، وفي الثالث من سبتمبر بدأت قوات الحلفاء عمليات الانزال في إيطاليا ، وبحلول عام ١٩٤٤ تمكنت قوات الحلفاء من تحرير الجنوب الإيطالي بالكامل ، وأحكمت قبضتها على المنطقة المنيعنة التابعة للقوات الفاشية "أورتونا- كاسينو" والتي تقع إلى الجنوب من العاصمة الإيطالية روما بحوالي ١٢٠ كيلومتر . وكلما تقدمت قوات الحلفاء نحو الشمال كانت تقوم بتحرير الأسرى من مختلف الجنسيات ، وكان من بينهم جنود سوفيت .

قامت سفارة بريطانيا العظمى المتواجدة في جمهورية مصر العربية في ١٠ يناير ١٩٤٤ ، بإبلاغ بعثة الاتحاد السوفيتي ، إنه طبقاً لما ورد إليهم من معلومات من السلطات العسكرية البريطانية ، فقد تم إطلاق سراح الشخصيات التالي ذكرها من الأسر وهم :

الملازم "بويكو بافل جيورجفيتش" ، كتيبة ٨٣٩ .

رقيب "تينوفوف فيودر دينوفيتش" ٤٨ سلاح المدرعات الجيش السادس .

رقيب "جيرانوف ألكسي نيكولافيتش" شعبة ١٠٣ .

الجندي "ستريجنوت فيدور سيميانونفيتش" كتيبة سائقين ١٠٥ .

الجندي " إيرجول ديمتری فاسيليفيتش " كتيبة ٩٧ .  
الجندي " دوبيتس نيكولای ماكسيموفيتش " كتيبة ١٤٩ الجيش الثامن .  
الجندي " تولستوخين بطرس إيفانوفيتش " ٨٥ سلاح المدفعية .  
المرضة " كوزمينا تيخونوفنا " المستشفى القوقازي رقم " ١ " ٢٥٢ ، لكن اسم " كوزمينا " لم يتم تحديده في الوثيقة .

نظراً لصعوبة نقل الأسرى السوفيت السابقين ، من خلال أقصر طريق إلى وطنهم ، جراء استمرار العمليات العسكرية هناك ، فقد إتخذت السلطات البريطانية قراراً بترحيلهم من إيطاليا إلى مصر تمهيداً ؛ لنقلهم إلى وطنهم عبر بلدان الشرق الأوسط وإيران .

في الثاني والعشرين من يناير من عام ١٩٤٤ ، قامت بعثة الاتحاد السوفيتي في مصر بإبلاغ وزارة الخارجية الروسية بشأن المذكرة البريطانية<sup>٢٥٤</sup> ، وحيث أن الوقت مازال بعيداً لتطهير إيطاليا من الفاشيين ، فإن هذه المذكرة تعد تحديداً أول إشارة سيتبعها حتماً معلومات أخرى على نفس النمط ؛ لذلك أرسلت " موسكو " إلى القاهرة ، وتحديدًا إلى المقر العام للحلفاء في الشرق الأوسط الرائد " أنسيم فاسيليفيتش كاراسوف " ٢٥٥ ضابط الإتصال لعودة الأسرى العسكريين .

يصف الكاتب الأذربيجاني " سليمان فيلييف " ، وهو أحد العائدين من إيطاليا إلى مصر في مذكراته " ١ " فيقول : ينتمي " كاراسوف " إلى هؤلاء الناس الذين يتركون لديك إنطباعاً جيداً " ومن المدهش أن ملامح وجهه وعيناه ، كانتا تجمعان بين الشدة واللين ، وقد حاز على تعاطفنا جميعاً ، بمجرد أن تعارفنا عليه . وقد أعطى " كاراسوف " البعض من هؤلاء الأسرى المحررين المغادرين مصر عنوانه في " موسكو " ، وفي عام ١٩٥٥ خلال زيارة " س . فيلييف " لموسكو قام بزيارته ، كما تبادل بعد ذلك المراسلات<sup>٢٥٦</sup> .

- ٢٥٣ عن مقالة : Из Европы в Европу – Через Африку. Египет – перевалочная база репатриации бывших советских военнопленных 1944-1945 والتي نشرت بمجلة «الأرشيف الشرقى» ، 2004 ، عدد 11-12 للمستشرق الروسي Vladimir Belyakov . أرشيف السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية ، ملف رقم ٠٧٨ وفق المرجع المصري ، محفظة رقم ٥ ، وثيقة رقم ٣١ .  
٢٥٤ المرجع السابق .  
٢٥٥ المرجع السابق ، محفظة رقم ٣ ، وثيقة رقم ٤ ، السطر ٣٥ .  
٢٥٦ «فالييف سليمان» ، الطرق إلى الوطن / مذكرات ، «فالييف . س» لؤلؤة المطر ، «موسكو» ١٩٦٣ من ص ٢٩٣ إلى ٣٠٢ .

في أواخر شهر مايو عام ١٩٤٤ وبعد عدة محاولات فاشلة، تمكنت قوات الحلفاء في النهاية من إختراق خط دفاع العدو على خط "كاسينو-أرتون"، وأخذت في التقدم نحو الشمال. وفي الرابع من يوليو تم تحرير "روما"، وبحلول العام الجديد، تم تطهير "الحداء الإيطالي" من القوات الفاشية بالكامل، وكانوا يسيطرون فقط على الجزء الشمالي.

ومنذ نهاية أغسطس ١٩٤٤، بدأت حشود الأسرى السوفيت السابقين في القدوم إلى مصر بأعداد غفيرة من إيطاليا، حيث تشهد بذلك المراسلات بين السفارة البريطانية، وبعثة الاتحاد السوفيتي في القاهرة. وقد أرسل الدبلوماسيون البريطانيون لنظرائهم السوفيت الإخطارات التالية التي تفيد بوصول مجموعات من الأسرى السابقين إلى الأراضي المصرية:

في العشرين من سبتمبر — ٥٣، و ٢٢٨٩ شخص<sup>٢٥٧</sup>

في السادس والعشرين من أكتوبر — ٤٢ شخص<sup>٢٥٨</sup>

في الحادى عشر من أكتوبر — ٨٦، ١١١ و ١٨٦٤ شخص<sup>٢٥٩</sup>

في الثامن عشر من أكتوبر — ١١٠٠ شخص<sup>٢٦٠</sup>

في الثانى والعشرين من أكتوبر — ٤٤ شخص<sup>٢٦١</sup>

في الرابع من نوفمبر — ٩٦ شخص<sup>٢٦٢</sup>

يكون بذلك إجمالى أعداد أسرى الحرب السوفيت السابقين، الذين قدموا من إيطاليا إلى الأراضي المصرية في عام ١٩٤٤ وصل إلى ٥٦٩٤ شخص، وربما قامت السلطات البريطانية بتقديم قوائم كل مجموعة من المجموعات للجانب السوفيتي، ولكنها غير موجودة في المراسلات الدبلوماسية.

فور وصول الأسرى السوفيت للأراضي المصرية، تم تسكينهم في معسكرات ترانزيت أحد هذه المعسكرات كان يقع في منطقة «سيدي بشر» إحدى ضواحي الإسكندرية<sup>٢٦٣</sup> ويحمل رقم ١٩٠، والذي على ما يبدو، أنه كان عبارة عن الثكنة البريطانية القديمة

٢٥٧ أرشيف السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية، ملف رقم ٠٧٨ وفق المرجع المصري، رقم المحظة

٥، وثيقة رقم ٣١، السطر ٢.

٢٥٨ نفس المصدر السابق، السطر ٦.

٢٥٩ المرجع السابق، السطر ٩.

٢٦٠ المرجع السابق، السطر ١١.

٢٦١ المرجع السابق، السطر ١٢.

٢٦٢ المرجع السابق، السطر ١٧.

٢٦٣ المرجع السابق، السطر ١٧.

التي أقيم فيها معسكر اللاجئين الروس فيها خلال الفترة فيما بين عامي ١٩٢٠ - ١٩٢٢<sup>٢٤</sup> والمعسكر الثاني الذي كان يحمل رقم ٣٠٧ كان يقع في «جنيفا» على شاطئ البحيرات المرة الصغيرة ، والتي عبرها يمتد الجزء الجنوبي لقناة السويس ، وبحواره كان يوجد المعسكر الثالث الذي كان يحمل رقم ٣٠٦ ، كان المعسكر رقم ٢٨ يقع إلى الشمال منه على شاطئ البحيرات المرة الكبرى<sup>٢٥</sup> ، وفي منطقة «التل الكبير» (وهي المنطقة الواقعة بين القاهرة والاسماعيلية) ، كان يتواجد المعسكران رقمي ٣٠٥ ، ٣٧٩ ، كما كان هناك معسكران بالقرب من مدينة «القاهرة» في ضاحية «العباسية» يحمل رقم ١٥٢ وآخر في ضاحية «المعادي»<sup>٢٦</sup> (لكن لم يذكر رقمه) ، أما المعسكر الذي كان يحمل رقم ١٥٧ ، على الرغم من أنه قد ورد ذكره في المراسلات الدبلوماسية ، إلا أنه لم يعرف مكانه بالضبط ، لكن من الملاحظ أنه في وقت مبكر من العام ١٩٢٠ قد تم تسكين اللاجئين الروس في «العباسية» و «التل الكبير» و «سيدي بشر»<sup>٢٧</sup> .

في المقبرة العسكرية البريطانية الواقعة في القنطرة شرق ، على شاطئ الجزء السينواي من قناة السويس يوجد قبران لإثنين من العسكريين السوفيت أحدهم يدعى «ف. زميربنج» ، والذي توفي في الثامن من أكتوبر ١٩٤٤ والثاني الرقيب «ي. كارسين» والمتوفي في الثاني والعشرين من أكتوبر من العام نفسه<sup>٢٨</sup> ، وعلى ما يبدو أن الجنديين قد توفيا داخل المستشفى التي تقع في «القنطرة» ، حيث توجد المقابر العسكرية البريطانية إلى الشمال من مدينة «القنطرة» ، في «بور سعيد» ، وإلى الجنوب في «التل الكبير» ، فلو كانت المستشفى حيث توفي الجنديان بعيداً عن مدينة «القنطرة» ، ل يتم دفنهما في مكان آخر ، ولكن على الأرجح أن المعسكر الذي نقلنا منه إلى المستشفى ، هو المعسكر الذي كان يحمل رقم ١٥٧ ويقع على مقربة من المستشفى .

- ٢٦٤ لوصف المخيم ، أنظر كتاب فلاديمير بيلياكوف : «عند شواطئ النيل المقدس» الروس في مصر ، موسكو ٢٠٠٣ ، من ص ١٥٢ إلى ١٦٣ .
- ٢٦٥ قاليف . س «المرسوم» ، ص ٢٩٢ .
- ٢٦٦ الأرشيف الحكومي لروسيا الاتحادية ، ملف رقم ٩٥٢٦ ، وثيقة رقم ٤٢٧ .
- ٢٦٧ فلاديمير بيلياكوف «المرسوم» من ص ١٣٦ إلى ١٥١ .
- ٢٦٨ فلاديمير بيلياكوف «مقبرة الروس في مصر» ، موسكو ٢٠٠٣ ، كُتِبَ لفظ «كراسين» بالخطأ على شاهد المقبرة «كراسي» ، وتم التوصل إلى اللقب الصحيح (بفضل الرجوع إلى الوثائق الأرشيفية بالأرشيف الخاص بالسياسة الخارجية لروسيا الاتحادية ، ملف رقم ٠٨٧٥ محفظة رقم ٥ ، وثيقة ٣١) وهو ما ذكره مكتب تمثيل «Commonwealth War Graves Commission» بالقاهرة والمسؤول عن حماية مقابر الإنجليز في جميع أنحاء العالم .

من المثير للدهشة ، أن قبرى الجنديين الروسيين «زمبيرنيج وكارسين» هما القبرين الوحيدان للعسكريين السوفيت الذان لقيتا حتفهما في عام ١٩٤٤ في مصر ، وقد قام الإنجليز بدفنهما في أحد مدافنهم . ويشير «س.فيليف» أن جندياً داخل معسكر اللاجئين رقم ٣٠٧ أقدم على الانتحار غير أن اسمه غير معلوم ، كما لا يعرف مكان دفنه<sup>٣٦٩</sup> . ومن المحتمل أن هذا كان آخر خسائر الأسرى السابقين في عام ١٩٤٤ على الأراضي المصرية . على الأقل لم نعثر في سجلات ١٠ مقابر خاصة بالجنود البريطانيين بطول البلاد وعرضها ، أو في الوثائق أو في المصادر الأدبية معلومات أخرى عن خسائر في صفوف الأسرى السابقين خلال فترة إقامتهم في مصر .

يروى لنا «سليمان فلييف» بعض الحوادث المثيرة للاهتمام حول الوضع داخل معسكر الترانزيت رقم ٣٠٧ : «أنه لدى وصول الأسرى السابقين ، وبمشاركة المقدم «كاراسوف» تم تشكيل كتيبة من الجنود الموجودين داخل المعسكر . وفي السابع من يناير قام أفراد الكتيبة بتقديم عرض عسكري أمام مقر القيادة بمناسبة الذكرى السنوية لثورة أكتوبر ، في حين قام الجنود من الأسرى الألمان المتواجدين في المعسكر المجاور بالصياح ، ورشق الجنود المشاركين في العرض بالحجارة ، مما دفع الرقيب «كراسوف» للتوجه إلى الضابط الأمريكي قائد معسكر الألمان ، وفي غضون دقائق هدا الأسرى الألمان ، وبعد الانتهاء من العرض العسكري أقيمت حفلة موسيقية شارك فيها عدد من الفنانين الهواة ، وكانت هذه الحفلات ، والأمسيات الأدبية تقام بعد ذلك أسبوعياً كل يوم أحد» .

يستمر "فيليف" في روايته عما كان يحدث داخل معسكر ٣٠٧ للاجئين فيقول : "قبل العيد قام الأسرى السابقين ، الذين ربما كان بينهم عدد لا بأس به من الجنود الأذربيجان بتقديم العرض الموسيقي الكوميدي الأذربيجاني الشهير "أرشين مال آلان" للموسيقى الشهير "جاد جيبكوف" ، وحقق العرض نجاحاً مبهراً ، حيث لم ينل إعجاب الأسرى فقط ، بل والمصريون أنفسهم . وقد جاء إلى عروضنا سكان القرى المجاورة ، وقد سمعنا العرب في الشوارع يدندنون بأشهر الألحان الأذربيجانية ، أمثال "أسكر" و "جولتسوخرا" ، حتى الشباب يتغنون بأشهر ألحان الأوبريتات الأذربيجانية" .

٢٦٩ «س. فيلييف»، «المرسوم» ص ٢٩٨ ومن ص ٢٣١ إلى ٣٠٣ .

٢٧٠ المرجع السابق . من ص ٢٩١ إلى ٢٩٨ .

استناداً إلى ما ذكره الكاتب في مذكراته ، فإن الجنود الأسرى لم يكونوا معزلاً عن السكان المحليين . وفي طريقهم إلى المعسكر توقف القطار الذي كان يقلهم من بورسعيد بعد وصولهم من إيطاليا لمدة طويلة في مدينة الاسماعيليت ، مما أتاح لهم مشاهدة معالم المدينة . وقد شاهد المصريون العرض العسكري في السابع من نوفمبر ، وكانوا يأتون إلينا ” يومياً فرادى أو في جماعات ، ويتبادلون معنا أطراف الحديث ويمطرونا بالأسئلة ...“ وعندما حان وقت الرحيل ، امتلأت محطة القطار بحشود هائلة من وفود الشعب المصري الذي جاء لوداع الجنود الروس .

يرسم ” سافيلي ياكوفيليتش شيرييف“ لوحة أخرى في رسائله . وقد ولد في ١٩٢٤ ، ويعيش الآن في ” منراني فودي“ . وقد تعرف الكاتب على حفيد ذلك الرجل في القاهرة عام ٢٠٠٠ ، وقد أخبر الكاتب بمصير جده ، الذي تم ترحيله عبر الأراضي المصرية إلى بلاده ، وقد حصل الكاتب على عنوانه . تم إطلاق سراح شيرييف من الأسر في الثاني من يونيو ١٩٤٤ من قبل قوات الحلفاء أثناء هجومها على ”روما“ ، ونقل بعد ذلك مع الأسرى السوفيت السابقين ، بالباخرة من ميناء ” ميلانو“ إلى ميناء ” الإسكندرية“ . وعلى حد قوله : ” لم يسمح الحراس للأسرى السابقين بأن يتحدثوا مع المصريين ، حتى أن خط سير الرحلة قد تم وضعه ، بحيث يتجنب المرور بالمناطق المأهولة بالسكان“<sup>٣٣١</sup> .

ذكر ” س . فيلييف“ أن الإدارة الأمريكية للمعسكر ، كانت تحاول إقناع الجنود بعدم العودة لبلادهم وترهبهم دائماً بـ ” سيبيريا“ ..! وذات مرة تم زرع ضباط بولنديين سابقين من جيش الجنرال ” أندريس“ داخل المعسكر لنفس الهدف ، ولكن ذكر المؤلف أن هذه المحاولات باءت بالفشل .

لم يذكر كل من ” س . فيلييف“<sup>٣٣٢</sup> أو ” س . يا . شيرييف“ أية معلومات بخصوص ماهية معسكرات الترانزيت ، وهل كانت ثكنات عسكرية أم مجرد خيام عادية ؟ . ولم يرد شيء بهذا الخصوص في أية وثائق من المتاحة لدينا ، بيد أنه قد تم الإشارة في إحداها أن الحلفاء قاموا بتوفير تغذية للأسرى السابقين بنفس معدلات تغذية الجنود الإنجليز ، وبزات عسكرية بريطانية ، طبقاً لفصول السنة<sup>٣٣٣</sup> .

٢٧١ أرشيف المؤلف ، ملف «الروس في مصر» ، وثيقة رقم ٨ ، السطور : ٣ ، ٤ ، ٨ ، ١٠ .  
٢٧٢ فيلييف «المرسوم» من ص ٢٩٦ إلى ٢٩٨ .  
٢٧٣ الأرشيف الحكومي لروسيا الاتحادية ، ملف رقم ٩٥٢٦ ، محفظة رقم ١ ، وثيقة ٤٢٧ .

في الثامن من ديسمبر ١٩٤٤ ، تم نقل الأسرى السابقين للمعسكر رقم ٣٠٧ ، والذي كان من ضمنهم "س. فيلييف" إلى السويس بالقطار . ومن هناك نقلوا على متن باخرة إلى ميناء البصرة العراقي ، وبعد أسبوعين من وصولهم إلى البصرة ، نقلوا مرة أخرى من هناك بالقطار إلى طهران . وهناك أمضوا فترة وجيزة ، نقلوا بعدها بالقطار إلى ميناء "بندر شاه" المطل على بحر قزوين . ومن هناك وعلى متن البارجة "تركمنستان" <sup>٣٧٤</sup> نقل الأسرى السابقين إلى "باكو" <sup>٣٧٥</sup> .

تمت عودة الجندي "س. أشيريايف" بطريقة أخرى . فقد تم ترحيله ضمن مجموعة من الأسرى السابقين ، داخل إحدى الشاحنات التجارية ، والتي كانت تحمل العلامة التجارية "ستوديبك" مباشرة إلى "طهران" ، وذلك عبر الأراضي : "الفلسطينية والعراقية" ، ثم وصلوا رحلتهم في الطريق من "طهران" إلى "باكو" في عربات النقل .

من خلال الوثائق الأرشيفية يتضح "أن العائدين كان يتم نقلهم من مصر عبر خط السكك الحديدية الذي كان يمر داخل أراضي "فلسطين وسوريا والعراق وإيران" وفي عام ١٩٤٥ نقل البعض بواسطة البوارج البريطانية إلى "إيطاليا" ومنها إلى "الاتحاد السوفيتي" بالقطار عبر "فيينا" <sup>٣٧٦</sup> .

عقب انتهاء الحرب ، تم نقل اللاجئين إلى الوطن مباشرة عن طريق البحر . وقد أشار "ب. بوليان" أنه في الثامن والعشرين من أغسطس ١٩٤٥ أبحر نحو ٢٦٤٠ جندي من ميناء "بورسعيد" على متن البارجة النرويجية <sup>٣٧٧</sup> إلى ميناء "أوديسا" .

أبلغ الدبلوماسيون البريطانيون ، البعثة السوفيتية بنقل الأسرى السابقين إلى طهران . وقد تضمنت خطاباتهم في عام ١٩٤٤ المعلومات الآتية :

في السادس والعشرين من سبتمبر - ٣٨,٤٧ و ٢٥٢ شخص <sup>٣٧٨</sup>

- |     |  |
|-----|--|
| ٢٧٤ | فيليف «المرسوم» من ص ٣٠٣ إلى ٣١٠ .   |
| ٢٧٥ | أرشيف المؤلف ، ملف «الروس في مص» وثيقة رقم ٨ .   |
| ٢٧٦ | الأرشيف الحكومي لروسيا الاتحادية ، ملف رقم ٩٥٢٦ ، محفظة رقم ١ ، وثيقة رقم ٤٢٧ .                                  |
| ٢٧٧ | بوليان بافل ، «ضحايا نيكيتاتوريين» ، أسرى الحرب بالرايخ الثالث وعملية إعادتهم إلى أوطانهم ، موسكو ١٩٩٦ ، ص ٢٢٤ . |
| ٢٧٨ | أرشيف الخارجية الروسية ، ملف رقم ٠٧٨ ، محفظة رقم ٥ ، وثيقة رقم ٣١ ، السطر السادس .                               |

- وفي العاشر من أكتوبر- ٥٠ و٢٨٧ شخص<sup>٣٧٩</sup> .  
في الثامن عشر من أكتوبر- ١٩٠ شخص<sup>٣٨٠</sup> .  
في التاسع من نوفمبر- ٢٨ و٩٤٢ شخص<sup>٣٨١</sup> .  
في السابع من ديسمبر- ١٠٣ شخص<sup>٣٨٢</sup> .

من واقع المراسلات الدبلوماسية، تم في الفترة من سبتمبر إلى ديسمبر ١٩٤٤ وتحديداً من داخل معسكرات الترانزيت في مصر، ترحيل ما يقرب من ٢٠٦٦ أسير سوفيتي سابق إلى طهران<sup>٣٨٣</sup> . ونلاحظ أن "ب. بوليان" أورد رقماً متواضعاً جداً وهو ٢٨٢ شخص فقط . وإذا حسبنا طبقاً للخطابات البريطانية خلال تلك الفترة، أنه تم ترحيل ٥٦٩٤ أسير سابق إلى مصر، توفي منهم ثلاثة أشخاص ، يكون عدد الأسرى السوفيت السابقين المتواجدين على الأراضي المصرية ٣٦٢٥ في الأول من يناير ١٩٤٥ م .

على ما يبدو أن عدد الأسرى السوفيت ، كان أكبر من العدد الذي جاء في الوثائق الدبلوماسية، فقد أشار "س. أشيرييف" أنه قد عاد إلى الوطن في أغسطس<sup>٣٨٤</sup> ، رغم أن المذكرة البريطانية ذكرت أن أول مجموعة من العائدين ، قد غادرت الأراضي المصرية يوم الرابع والعشرين من سبتمبر<sup>٣٨٥</sup> . من ناحية أخرى ، لم ترد أية معلومات عن ترحيل مجموعة "س. فيلييف" في الثامن من شهر ديسمبر . وحقيقة تمت الإشارة في الوثائق إلى ترحيل مجموعة من ١٣٠ شخص في السابع من ديسمبر إلى طهران ، ولكن من معسكر رقم ١٥٧ ، وليس من معسكر ٣٠٧ ، حيث تواجد س. فيلييف ، وثانياً حجم هذه المجموعة لا تتناسب مع عدد الفوج<sup>٣٨٦</sup> .

٢٧٩	المرجع السابق ، السطر الثامن .
٢٨٠	المرجع السابق ، السطر الحادي عشر .
٢٨١	المرجع السابق ، السطر العشرين .
٢٨٢	المرجع السابق ، السطر السادس والعشرين .
٢٨٣	بوليان . ب المرجع السابق ، ص ٢٢٦ .
٢٨٤	أرشيف المؤلف ، ملف الروس في مصر ، وثيقة رقم ٨ السطر الثالث .
٢٨٥	أرشيف الخارجية الروسية ، ملف رقم ٠٧٨ ، حافظة رقم ٥ ، وثيقة ٣١ ، سطر ٦ .
٢٨٦	المرجع السابق ، السطر ٢٦ .

وفقاً لـ "ب. بوليان" أنه بحلول فبراير ١٩٥٤<sup>٢٨٧</sup> تم عودة ما يقرب من ١١٢٩٢ أسير عبر الأراضي المصرية. هذا الرقم ضعف العدد الذي لدينا ، استناداً إلى الوثائق الدبلوماسية<sup>٢٨٨</sup>، ولعل الكاتب قد استند إلى مصادر أخرى غير التي بين أيدينا ، فأحصى أولئك الأسرى العائدين، الذين لم يرد ذكرهم في الوثائق البريطانية. بالإضافة إلى الأعداد التي تشمل المرشحين في عام ١٩٤٣ ، والذين كان قد تم تحريرهم من قبل الحلفاء ، أثناء المعارك العسكرية التي دارت في شمال أفريقيا<sup>٢٨٩</sup> .

بحلول عام ١٩٤٤ ، بات من الصعب على الرائد "كاراسوف" أن يقوم وحده بالمهمة الملقاة على عاتقه ، نظراً لكثرة أعداد الأسرى ، وانتشارهم في معسكرات الترانزيت . وكما ذكر "س. فيلييف" ربما مع رغبة الجنود في العودة إلى الوطن لم يكن الطريق مفروشاً بالورود . يروي "ن. د. تولستوي" أنه كان على الأقل في كل مجموعة من الأسرى السابقين يوجد أشخاص تساورهم المخاوف من العودة إلى أرض الوطن .

مع بداية تحرك الجيش السوفيتي ، خارج حدود الاتحاد السوفيتي<sup>٢٩٠</sup> وانتقال المعارك إلى شرق أوروبا أصبحت أعداد الجنود المحررين من الأسرى تضايف مستمر مثل كتلة الثلج وكانت عملية إعاشتهم وعودتهم إلى أرض الوطن ، مشكلة لم يقدر الجيش المحارب على حلها . لذلك إتخذ مجلس مفوضي الشعب في ٢٣ أكتوبر ١٩٤٤ قراراً بإنشاء لجنة تابعة للمجلس تختص بشؤون الأسرى والمعتقلين<sup>٢٩١</sup> . وقامت الإدارة بدورها بتشكيل عدد من البعثات خاصة بعودة الأسرى المحررين ، تتوجه إلى عواصم الحكومات المختلفة في المناطق ، التي توقفت فيها الأعمال العسكرية أو أوشكت على الانتهاء . وفي يناير عام ١٩٤٥ توجهت هذه البعثة إلى مصر وكان من ضمنها :

٢٨٧ بوليان ب. ، المرجع السابق ، ص ٦٢٢ ، وفقاً للوثائق الخاصة بإدارة شؤون الترحيل - التي كُشف النقاب عنها في عام ٢٠١٢ ، فقد وصلت أول مجموعة من الجنود السوفيت الأسرى إلى مصر في يوليو/ تموز ١٩٤٤ وتم ترحيل حوالي ١٠٤٠٠ جندي منها . أنظر فلاديمير بيلياكوف " العبور عبر أفريقيا " ، رودينا ، ٢٠١٣ من ص ١١٢ إلى ١١٤ .

٢٨٨  
٢٨٩ عن ترحيل الجنود الأسرى السوفيت من مصر ١٩٤٣ من كتاب سولجينيتس ، (نوفي مير ، ١٩٨٩ العدد ٨ ، ص ٥١) وكذلك من شهادات كتاب فلاديمير بيلياكوف «أفريقيا المأوى» موسكو ، ٢٠٠٠ من ص ٢٣٣ إلى ٢٣٦ ، وأشار إلى ذلك أيضاً ب. بوليان (مرسوم ص ٢٢٢) ون. د. تولستوي «ضحايا بالطة» موسكو ، ١٩٩٦ من ص ٥٢ إلى ٥٣ ، ولم يتم التوصل حتى الآن إلى عدد المرشحين بالضبط .

٢٩٠ تولستوي. ن. د. المرجع السابق ، ص ٥٣ .  
٢٩١ الأرشيف الحكومي لروسيا الاتحادية ، ملف رقم ٩٥٢٦ .

العقيد "مايكل ستافروف" ... رئيساً للبعثة .  
الرائد "بافل بيللايف" ... نائباً لرئيس البعثة .  
المقدم "ألكسندر ديميدوف" ... نائب للرئيس .  
الرائد "بافل دوركين" ... مساعداً للرئيس .  
الرائد "فاسيل نازاروف" مساعداً للرئيس .  
الرائد "نيكولاي سيمين" مساعداً للرئيس .  
الرائد "نيكولاي تشاينيتشيكوف" مساعداً للرئيس .  
الكابتن "جالينا تاراسوفا" ... مترجمه .  
ملازم "كورين أنداتيكين" ... مترجماً .  
ملازم أول "ألكسي باخروف" ... مترجماً .

وكانت البعثة تضم "كاراسوف" كمساعد لرئيس البعثة ، وترقى إلى رتبة مقدم<sup>٢٩٢</sup> .

وصلت القاهرة بعثة الاتحاد السوفيتي ، الخاصة بعودة الأسرى المحررين في الرابع والعشرين من شهريناير ١٩٤٥<sup>٢٩٢</sup> ، وإستمر عملها أكثر من عام . وانتهت من عملها وغادرت عائدة إلى الوطن في بداية فبراير ١٩٤٦<sup>٢٩٤</sup> ، ولكن لسوء الحظ أن الأرشيف الخاص بالبعثة والمحفوظ في الأرشيف الحكومي الروسي غير متاح للباحثين ! كان الاستثناء تلك المعلومة الموجزة عن عملية عودة المواطنين الروس من مصر ، والتي كتبها ، ووقع عليها على الأرجح في بداية فبراير ١٩٤٦ ، الرائد "سيمين" ، ولكن هذه الوثيقة غير مؤرخة . وقد ورد فيها أن الجنود الروس كانوا يتواجدون في المعسكر رقم ٣٠٧ في الفترة من يناير حتى مارس ١٩٤٥ . وكانت المغادرة الرئيسية في أبريل ١٩٤٥ ، دون الإشارة إلى أعدادهم . وفي وقت كتابة هذه الوثيقة ، لم يكن هناك أي مواطنين سوفيت مسجلين ، لنقلهم إلى الاتحاد السوفيتي من مصر<sup>٢٩٥</sup> .

وحيث أنه تمت الإشارة في الوثيقة إلى أنه في عام ١٩٤٥ كان المواطنون السوفيت يتواجدون فقط في المعسكر رقم ٣٠٧ ، وأن المغادرة الرئيسية تمت في أبريل من نفس

٢٩٢ أرشيف الخارجية الروسية ، ملف رقم ٠٧٨ ، حافظة رقم ٦ ، وثيقة رقم ٣ السطر ٦ .  
٢٩٣ المرجع السابق ، محفظة رقم ٨ ، وثيقة رقم ٤٧ السطر ٥ .  
٢٩٤ المرجع السابق ، محفظة رقم ١٠ ، وثيقة رقم ٢ ، السطر ٢٧ .  
٢٩٥ الأرشيف الحكومي لروسيا الاتحادية ، ملف رقم ٩٥٢٦ ، محفظة رقم ١ ، وثيقة رقم ٤٧٢ سطر ٣ ، ٧ .

العام. هنا تساورنا بعض الشكوك بخصوص إحدى الحقائق التي أوردتها "ب. بوليان". فعلى ما يبدو أن العائدين من المواطنين السوفيت من ميناء "بورسعيد" إلى ميناء "أوديسا" في ٢٨ أغسطس ١٩٤٥، والذي بلغ عددهم ٢٦٤٠ مواطن روسي قد تم نقلهم من بلد آخر، أو عدة بلدان. وكانت "بورسعيد" إحدى المحطات التي توقفت فيها البارجة، في طريقها إلى ميناء "أوديسا".

أورد "ن.د. تالستوي" الواقعة التالية: في نقطة تجمع الجنود المحررين في مدينة أفيرس الواقعة بالقرب من نابولي الإيطالية، رفض حوالي ٨٠٠ جندي شيشاني وأنجوشي مسلم من مواطني الاتحاد السوفيتي العودة إلى أوطانهم. وتم ترحيلهم إلى مصر تحت رعاية الملك فاروق، وتم توزيعهم على البلدان العربية بغرض الإقامة الدائمة<sup>٢٩٦</sup>، إلا أنه لم يتم العثور على الوثائق التي تؤكد هذه الحادثة حتى الآن. من الجدير بالذكر أن كتاب "تالستوي" الذي ينحدر من سلالة أحد المهاجرين قد نُشر أولاً في إنجلترا، ويعتمد فقط على المصادر الغربية، ولهذا السبب فهو يحمل طابعاً أحادياً بوضوح.

تعد عملية نقل المواطنين السوفيت إلى بلادهم عبر الأراضي المصرية صفحة محدودة الشهرة في التاريخ الوطني والعلاقات الإنسانية بين البلدين. فعلى ما يبدو أن الجنود المرحلين قد أتاحت لهم الفرصة للتواصل مع المصريين. فقد كان مع أولئك الجنود كثير من المقاتلين الذين حاربوا ضمن القوات الدولية في "إيطاليا"، حيث فرضت عليهم الظروف تعلم اللغات الأجنبية المختلفة، لذلك لم يشعر مواطنونا بحاجز اللغة في تعاملهم مع المصريين الذين - بالطبع - يعرفون اللغة الإنجليزية والفرنسية.

على سبيل المثال أورد "س. فيلييف"، الحوار الذي دار بينه وبين أحد المدرسين المصريين المهتمين بأوضاع المسلمين، داخل جمهوريات الاتحاد الاشتراكي السوفيتي آنذاك. قال وهو يتذكر مغادرتهم للمعسكر: "كان العرب يدعون الله من أجلنا، ومن أجل عودتنا بسلام إلى أرض الوطن، ومن أجل سعادتنا، وقدموا لنا الفواكه كـ "الكاكي أو الكاكا"<sup>٢٩٧\*</sup> و "التين"<sup>٢٩٨</sup> ويذكر أن بعض الجنود كان ينتابهم شعور بالخجل ويمتنعون عن أخذها، ولكن كان المصريون يضعونها عنوة في أيديهم، أو يدسونها في جيوبهم..!

٢٩٦ ن.د. تالستوي، المرجع السابق، ص ٣٥٠.

٢٩٧ \* فاكهة الكاكي.

٢٩٨ فيلييف، المرجع السابق من ص ٣٠٠ إلى ٣٠٢.

مع إقتراب الحرب العالمية الثانية من نهايتها أصبح الاهتمام في مصر بالاتحاد السوفيتي كبيرا ، وتميزت علاقة المصريين بالمواطنين السوفيت بالتعاطف الصادق . وفي السادس والعشرين من أغسطس ١٩٤٣ تم أخيراً إقامة علاقات دبلوماسية بين البلدين ، وفي نوفمبر من هذا العام وصلت القاهرة البعثة السوفيتية . وفي الخامس عشر من مايو ١٩٤٤ كان عرض الفيلم الوثائقي ” ستالينجراد ” في دار سينما ” الأوبرا ” إشارة بدء حملة لجمع التبرعات لمساعدة مواطني اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية . حضر العرض السينمائي كافة أطراف النخبة السياسية المصرية ، وعلى رأسها الملك فاروق<sup>٣٩٩</sup> . وقد ذكرت المجلة الأمريكية ” كوليرز ” في عددها الصادر بتاريخ ١٧ فبراير عام ١٩٤٥ أنه ” قد ساد بين الأوروبيين ، وكذلك المصريين شعور بأن روسيا انتصرت في الحرب فعليا بدون مساعدة أحد<sup>٣٠٠</sup> .

نظر الشعب المصري إلى الجنود كممثلين لقائمة الدول المنتصرة في الحرب العظمى ، وقد أشار ” س. فيلييف ” : ” أنهم قالوا لنا إننا بالنسبة إليهم تمثل الشعب السوفيتي ، وعبروا عن مشاعرهم الطيبة نحونا ، وعن حبهم للشعب السوفيتي ولبلادنا ”<sup>٣٠١</sup> . وربما قد حكى المصريون الذين اتاحت لهم الفرصة بالتواصل مع المواطنين السوفيت عن ذلك فيما بعد ، لذويهم وأقربائهم .

ولكن آلاف الجنود الذين تواجدوا داخل مخيمات الترانزيت ، في مصر قد نقلوا بالفعل انطباعاتهم عن هذه البلد إلى وطنهم ” . ذكر ” س. فيلييف ” أنهم سعوا إلى التعرف على حياة العرب عن كثب ، وقد كانت بالفعل صعبة ، وكنا نشعر بالتعاطف العميق معهم . وقد وصلت إليهم هذه المشاعر وشعروا نحونا بالامتنان العميق ، ولقد أحببنا هذا الشعب الطيب القلب والمضياف بطبعه<sup>٣٠٢</sup> ... ” .

تأثر ” فيلييف ” بإقامته في مصر ، والعراق فقام بكتابة ” قصص عربية ” . وقد ترجم البعض منها مثل ” شجرة التين ” و ” أحلام فلاح ” و ” إبريق الماء ” إلى اللغة الروسية<sup>٣٠٢</sup> ، الأمر الذي ساعد على توسيع معرفتنا ببلد النيل وشعبها العظيم .

- ٢٩٩ نوفيكوف . ن «طرق الدبلوماسية» موسكو ١٩٧٦ ، ص ١٠٢ .  
٣٠٠ أرشيف الخارجية الروسية / ملف ٠٧٨ ، الحافظة رقم ٨ ، وثيقة ١٨ ، السطر ٩ . فيلييف . س المرجع السابق ، ص ٢٩٤ .  
٣٠١ المرجع السابق .  
٣٠٢ المرجع السابق من ص ٢٣٤ إلى ص ٢٥٤ .